

صحة الذاكرة

بيار رفول

العهد الأسدي على مشارف النهاية

أصبح واضحاً للعيان أن الحركة التصحيحية التي قام بها حافظ الأسد منذ ثلاثة عقود تقريباً كان معداً لها بشكل مدروس لتنفيذ المخطط المرسوم للمنطقة. فالأسد نجح في الامتحان بنظر المخططين لما كان وزيراً للدفاع وسلم الجولان بدون مقاومة..

والمخطط المذكور بدأ الأسد بتنفيذه فور استلامه الحكم... فسورياً، حذف الزعماء والمنافسين اغتيالاً وسجناً وإبعاداً، وقتل روح المقاومة والصمود لدى الشعب السوري إذ أزهبه بالمجازر التي اقترفها (٣٣ ألف مواطن في حماه وحلب فقط) وبالمدن التي دمرها وبالأجهزة الأمنية التي أوجدها، ومن ثم فقّره.. وقومياً، فتت العرب وضرب فكرة القومية العربية بتقسيم حزب البعث.. ثم أجهز على المقاومة الفلسطينية فشرذمها ليحتضنها ومن ثم أضعفها وصفأها وجرها الى السلم.. وانتقل الى لبنان فاحتله وأمعن قتلاً وتدميراً بشعبه وجنى عمرهم، ونهب خيراته وجعل منه بؤرة للارهاب والتخريب ففتح مخيمات التدريب للارهابيين وحماهم وشجع زراعة المخدرات.. وفي لبنان ايضاً خطف النظام الاسدي الرهائن الأجانب واغتال السفير الفرنسي دي لا مار وفجر مركز المارينز ومركز القوة الفرنسية «وهشل» البعثات الدبلوماسية ونظف لبنان من قياديين وزعمائه وشخصياته بالاغتيال أمثال الرئيسين بشير الجميل ورينيه معوض، مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد، الزعيم كمال جنبلاط، الشيخ صبحي الصالح، النائب ناظم القادري، نقيب الصحافة رياض طه، الصحافي الشهير سليم اللوزي وغيرهم.. وقسم طوائفه وأحزابه وعائلاته وسيطر على قراره بشكل نهائي من خلال حكم اختار هو أفراد.

لقد نفذ الأسد ما طلب منه بالحدافير ونعم حكمه، بالمقابل، بالهدوء والأمان. لكنه مثلما استعمل غيره ومن ثم رذله، فإن من استعمله واستهلكه بدأ يعد العدة للخلاص منه..

ففي ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠ سحبت منه الورقة اليهودية (الجالية اليهودية في سوريا التي سمح لها بحرية التحرك والسفر وبيع ممتلكاتها ونقل أموالها مقابل موافقة الاسرائيليين على احتلال الجيش السوري المنطقة الحرة المتبقية في لبنان آنذاك)... وفي مؤتمر مدريد سحبت منه الورقة الفلسطينية.. بعد ذلك اغتيل نجله باسل كعلامة على أفول دوره..

حاول الأسد أن يلتف على القرار ويعيده لمصلحته لكن أمره فُضح في مسألة الجيش الأحمر الياباني. كذلك تحت الضغط التركي تخلى عن ورقة مهمة هي ورقة الحزب الكردستاني وزعيمه اوجلان الذي كان يتخذ من البقاع مقراً ومنطلقاً له.

لم يبق بيد الأسد سوى لبنان كدولة وسوى حزب الله كقوة مقاومة. انه يحاول أن يساوم على لبنان بالجولان، وهو الذي باع الجولان ومنع أي عملية مقاومة فيه أو اطلاق رصاصة واحدة. وهو مستعد لضعاف حزب الله وشل قوته وحتى تصفيته، وهو مستعد ايضاً لأكثر من ذلك، مقابل هدية واحدة هي تسليم الخلافة الى نجله الثاني بشار..

ان التجارب والخبرات تؤكد أن العميل يبدأ كبيراً ويصغر وينتهي مع انتهاء دوره، وحركة التاريخ لا تعود الى الوراء ولا تناقض مسارها...